جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
دولة ماليزيا

سورة الصف
دراسة تحليلية موضوعية

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتفسير

من إعداد الطالبة : سعاد مصطفى إدريس وانـــــزة
تحت إشراف : الدكتور خالد نبوي حجاج

كلية العلوم الإسلامية – قسم علوم القرآن والتفسير
السنة الجامعية: شتنبر ٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشكر والإهداء

في أول الأمر أتقدم بالشكر التام للواحد الأحد الذي وفق هذه الأَمَة الضَّعيفة لإنجاز هذا البحث المتواضع والحمد لله القادر العليم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم والذي ألهمني رشدي وهداني إلى طريق العلم والمعرفة؛ قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة : من الآية ١١)

ولابد لي أن أتقدم بالشكر الخاص إلى والدي الكريمين، ثم زوجي وأولادي وكل من ساهم في إنجاح هذا العمل المتواضع ومشايخي وجميع الطاقم التعليمي والإداري بجامعة المدينة العالمية بدولة ماليزيا وكذا المشرفين والقائمين على مركز الجامعة بدولة المغرب.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجه الكريم،

ويجعله مباركا نافعا، إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، لا أحصي ثناء عليه كما أثنى هو على نفسه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وخليله. فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد،

إن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبهذين الأصلين اهتدت الأمة قديما، وهما سبيل نجاتها في سائر الأزمان والأحوال. ولا خلاص لهذه الأمة من هذا الواقع المرير الذي تعيشه، والبؤس الذي تحياه، لتعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس، إلا بأن تجعل القرآن الكريم سبيل نجاتها. ولا يعود للمسلمين عزهم وذكرهم وشرفهم إلا من خلاله، ولا سيادة لهم في هذه الأرض إلا بتطبيقه وتحكيمه في الأمور كلها؛ قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾(طه: ١٢٤ – ١٢٦)، والاستفادة الحقّة من كتاب الله عز وجل لا تكون إلا بتدبره وتأمله والتفكر فيه وفهم معانيه ومعرفة أساليبه وبلاغته والعلم بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

(ص : ٢٩) و قال تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ (النساء: ٢٨)

من هنا يرى الباحث أن يعيش مع كتاب الله، يفسر آياته، ويبين دلالاته. فكتاب الله العظيم فيه من الآيات الباهرة والعجائب الظاهرة ما يجعله محط الإعجاب ليأخذ بعقول أولي الألباب فيحرك الهمم وينشط العزائم لما حوى من جمال التعبير ومتانة الأسلوب ولما فيه من الإخبار عن الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله ذو الجلال والإكرام. وقد قرر الباحث أن يعيش في ظلاله وأن يبحث في مكنونه ويغوص في أسراره وكنوزه واختار من ذلك تفسيرا تحليليا موضوعيا ومن سوره سورة الصف.

ومن بين الأسباب في اختيار هذه السورة هو ما حوته من دلالات ومعاني وأسرار جد قوية، فالسورة على قصر آياتها وسرعة إيقاعاتها وقلة عدد آياتها قد اشتملت العديد من المقاصد. والسورة الكريمة تستهدف أمرين أساسين واضحين في سياقها كل الوضوح، إلى جانب الإشارات والتلميحات الفرعية التي يمكن إرجاعها إلى هذين الفرعين الأساسيين.

تستهدف أولاً أن تقرر في ضمير المسلم أن دينه هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة، سبقته صور منه تناسب أطوار معينة في تاريخ البشرية، وسبقته تجارب في حياة الرسل وحياة الجماعات، تمهد كلها لهذه الصورة الأخيرة من الدين الواحد، الذي أراد الله أن يكون خاتم الرسالات. وأن يظهره على الدين كله في الأرض[١].

وهذا الهدف الواضح في السورة يقوم عليه الهدف الثاني .فإن شعور المسلم بهذه الحقيقة، وإدراكه لقصة العقيدة، ولنصيبه هو أمانتها في الأرض ... يستتبع شعوره بتكاليف هذه الأمانة شعوراً يدفعه إلى صدق النية في الجهاد لإظهار دينه على الدين كله – كما أراد الله – وعدم التردد بين القول والفعل[٢].

١ – أنظر " في ضلال القرآن" لسيد قطب.

٢ – أنظر " في ضلال القرآن" لسيد قطب.

هذه السورة – سورة الصف – تعالج قضايا وأمورا تسهم في حل كثير من المعضلات التي تواجهها الأمة اليوم. وهذه الدراسة التحليلية الموضوعية لا تعني أنها أتت بما لم يأت به الأوائل من العلماء والمفسرين، وإنما هي عبارة عن جمع وانتقاء واختصار وتعليق حسب ما يقتضيه المقام.

فجاءت الدراسة لهذه السورة في ثلاث فصول:

– الفصل الأول عبارة عن مدخل للسورة يتضمن أسماء السورة، وسبب تسميتها، والمكي والمدني في السورة، ومتى نزلت وفضائل السورة، وترتيبها في النزول، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها. وكذا المحاور الأساسية التي تدور حولها.

١– الفصل الثاني: بعد تقسيم السورة إلى أربع مقاطع تم تفسير كل مقطع تفسيرا تحليليا يضم المناسبة وأسباب نـــزول الآيات، معاني المفردات، الإعراب، البلاغة، المعنى العام للآيات القرآنية ثم القراءات الواردة في السورة، خاصة المتواترة منها. وهناك بعض القراءات الشاذة منها ما يوافق قراءة من القراءات المتواترة، ولو بوجه، ومنها ما لم يُشهد لها موافقة لأي من القراءات المتواترة، وهذه الأخيرة تمت الإشارة إليها في آخر كل فقرة إن وُجدت. هذا وقد تم بيان حجة بعض من القراءات عند الحاجة.

أما الفصل الثالث : فقد تم فيه الوقوف على بعض الموضوعات التي تم استمدادها من آيات هذه السورة وهداياتها. وفي واقع الأمر هذا الفصل يقتضي مزيدا من البحث والاستقصاء والتفكير في ضوء ما كتبه الأئمة والعلماء، مستهديا بالكتاب والسنة، وفقه سلف الأمة، لكن، ولكون هذا البحث تكميليا لا يستدعي التعمق الكثير فقد تناول دراسة خفيفة لموضوعين فقط في السورة:

١– توحيد الصفوف

٢– التجارة مع الله

ثم اختتمت الدراسة بخاتمة مختصرة مناسبة، مع ذكر بعض المصادر والمراجع.

وبما أن الدراسة كان فيها ذكر لقراءات الأئمة الأربع عشر، كان من اللازم إدراج تراجم لهؤلاء القراء، لكن نظرا لكثرة الكتب التي تناولت ذلك ونظرا لضيق الوقت تم الاستغناء عنها.

هذا وأسأل الله – جل وعلا – أن يجعل هذه الدراسة نافعة، ومحققة للأهداف التي كتبت من أجلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

مشكلة البحث

يعرض هذا البحث تفسيرا لسورة الصف بالمنهج التحليلي الموضوعي. يتم فيه التطرق إلى أسباب النزول، والإعراب، والبلاغة، والقراءات المتواترة منها والشاذة ... ثم وقفات خفيفة مع موضوعين أساسيين في السورة؛ توحيد الصفوف والتجارة مع الله.

وهذه الدراسة قد تعين الباحث على فهم مكنون السورة والغوص في أسرارها وكنوزها والوقوف على مدلولها، مع استخلاص الفوائد وربطها بالواقع المعاش وذلك لمواجهة جوانب الحياة وفق المنطلقات القرآنية.

أهداف البحث

- ابتغاء مرضات الله تعالى
- إثراء المكتبة ببحث في التفسير التحليلي الموضوعي يشمل كل ما يتعلق بسورة الصف من أسباب نزول وقراءات ومعاني وبلاغة وبيان...
- إبراز موضوعين أساسيين من السورة ودراستهما دراسة موضوعية علمية.

- تفعيل دور التصور القرآني وانعكاسه على المجتمع.
- إبراز المقومات التي يبنى عليها توحيد الصفوف والتجارة مع الله.
- التدريب على الكتابة في موضوع يتعلق بأشرف العلوم على الإطلاق وهو القرآن الكريم

الدراسات السابقة

هذه الدراسة تتعلق بالتفسير التحليلي الموضوعي لسورة الصف. فبعد الاطلاع على عدد من التفاسير منها "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، و"التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور، و"الجامع لأحكام القرآن" محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي و"تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير ثم بعض الدراسات التي قام بها الأوائل مثل "سورة الحجرات، دراسة تحليلية موضوعية" لفضيلة الدكتور ناصر بن سليمان العمر، وبعض الرسائل الجامعية المتعلقة بتفسير تحليلي لبعض سور القرآن الكريم ، قام الباحث بكتابة هذه الأسطر عن طريق الجمع والانتقاء والتعليق أحيانا والاختصار لما جاء به العلماء والمفسرين مع الاقتفاء بأثر من سبق في الدراسة وذلك حسب ما يقتضيه المقام.

منهج البحث

تعددت المناهج التفسيرية وتفنن الباحثون بعرض مناهجهم حسب قدراتهم وأساليبهم وطرق تفكيرهم. ومن أراد أن يفهم النص القرآني بدقة عليه أن يختار المنهج المناسب. والمنهج التحليلي واحد من هذه المناهج وهو

الغالب على المؤلفات في التفسير وخاصة أشهر التفاسير وأهمها. نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر الطبري والخازن والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية والشوكاني وابن كثير وغيرهم،

واختار الباحث في تفسيره لسورة الصف هذا المنهج التحليلي الموضوعي متتبعا خطواته على التوالي:

مدخل يتضمن تعريفا إجماليا بالسورة مع بيان ما اشتملت عليه من مواضيع؛

تقسيم الآيات القرآنية إلى وحدات موضوعية؛

دراسة تحليلية لتلك الوحدات الموضوعية مع إيراد لأسباب نزول الآيات في أصح ما ورد فيها، وتوضيح بعض اللغويات من معاني وبلاغة وإعراب ثم بيان للمعنى الإجمالي مع العناية بالقراءات.

ثم الوقوف على بعض مواضيع السورة منها توحيد الصفوف والتجارة مع الله تعالى.

وهذا الأسلوب يوصل الباحث إلى الهدف الذي يسعى من أجله وهو توضيح بعض المعاني الغامضة في النص القرآني وإزالة الالتباس وإظهار الأسلوب المعجز له ومناقشة الآراء وترجيح الصائب منها بالدليل عبر خطوات منهجه مع استخلاص الفوائد منه وربطها بالواقع.

هيكل البحث

هذا البحث يتعلق بتفسير تحليلي موضوعي لسورة الصف، قام الباحث فيه بإيراد مقدمة عن الموضوع ثم مشكلة البحث، ثم أهداف البحث والأبحاث السابقة ثم هيكل البحث؛ الذي قسم إلى ثلاثة فصول : الفصل الأول كان عبارة عن مدخل للسورة والثاني تمت فيه دراسة تحليلية للسورة والثالث شمل دراسة موضوعية خفيفة لموضوعين أساسيين هما توحيد الصفوف والتجارة مع الله.

ثم ختم الباحث دراسته بخاتمة مختصرة مناسبة. أما الفهارس فقد تم ذكر لبعض المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول : مدخل إلى السورة

المبحث الأول: تعريف بالسورة

المبحث الثاني : تسمية السورة

المبحث الثالث : مناسبة السورة

المبحث الرابع : محاور السورة

الفصل الأول : مدخل إلى السورة

المبحث الأول: تعريف بالسورة

نزلت سورة الصف بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح. وكان نزولها بعد وقعة أحد، وهي من المفصل، وترتيبها الواحد والستون ٦١ في المصحف الشريف، الجزء الثامن والعشرون ٢٨، الحزب الخامس والخمسون ٥٥، الربع الرابع ٤. وهي السورة الثامنة والمائة ١٠٨ في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد. عدد آياتها أربعة عشر ١٤ وكلماتها مائتان وإحدى وعشرون ٢٢١، وعدد حروفها تسعمائة ٩٠٠.

ليس فيها لا ناسخ ولا منسوخ.

وفيها قولان:

أحدهما

أنها مدنية قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور[١]

وجاء في التحرير والتنوير أنها مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سَلاَم[٢].

وقال السيوطي في الإتقان أن المختار فيها أنها مدنية ونسبه ابن الغرس إلى الجمهور ورجحه ويدل له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله سبحانه: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

١- أنظر "زاد المسير" (ج٨، ص٢٤٩)

٢- أنظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص١٧١)

ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢} حتى ختمها، قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها[1].

والثاني أنها مكية، قاله ابن يسار[2]

وقال الطاهر بن عاشور: عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أنها مكية ودرج عليه في الكشاف والفخر[3].

وقال ابن عطية: الأصح أنها مدنية ويشبه أن يكون فيها المكي[4]

والراجح أنها مدنية، ويؤيّد هذا المعنى ما ورد فيها من آيات الجهاد الذي لم يشرع في مكّة كما هو معلوم.

المبحث الثاني: تسمية السورة

اشتهرت هذه السورة باسم (سورة الصَّف) وكذلك سميت في عصر الصحابة وعنونت في (صحيح البخاري) وفي (جامع الترمذي)، وكذلك كتب اسمها في المصاحِف وفي كتب التفسير. ووجه التسمية وقوع لفظ (صَفًّا) في الآية ٤ فيها وهو صف القتال، فالتعريف باللام تعريف العهد[5].

وتسمّى أحياناً بسورة (الحواريين) لذكر الحواريين فيها. ولعلّها أول سورة نزلت ذُكر فيها لفظ الحواريين[6].

المبحث الثالث : مناسبة السورة

جاء في تفسير المراغي في مناسبة سورة الصف لما قبلها، أنها اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفي ذلك تأكيد للنهى الذي تضمنته السورة السابقة من اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين[7].

١- الإتقان في علوم القرآن (١/٤٤)

٢- أنظر "زاد المسير" (ج٨، ص٢٤٩)

٣- أنظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص١٧١)

٤- نفس المصدر

٥- أنظر "التحرير والتنوير" (ص٢٨، ص١٧١)

٦- أنظر "التحرير والتنوير" (ص٢٨، ص١٧١)

٧- أنظر "تفسير المراغي" (ج ٢٨، ص٨٠)

وأبو حيان كذلك يرى أن في آخر السورة التي قبلها، قال الله تعالى: {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} (الممتحنة الآية ١٣)، فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم، فحض تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم[١].

والرازي يرى أن وجه التعلق بما قبلها هو أن في تلك السورة بيان الخروج جهادا في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله: {إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي} (الممتحنة من الآية ١) وفي هذه السورة بيان ما يحمل أهل الإيمان ويحثهم على الجهاد بقوله تعالى: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص} (الصف: ٤) [٢]

المبحث الرابع : محاور السورة

تعني السورة الكريمة ببعض الأحكام التشريعية وهي تتحدث بالخصوص عن القتال وجهاد أعداء الله وعن التجارة الرابحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة. وقد ذكرها الطاهر بن عاشور على النحو التالي[٣] :

أولها التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين.

والتحريضُ على الجهاد في سبيل الله والثباتِ فيه، وصدق الإيمان.

والثباتُ في نصرة الدين.

والائتساء بالصادقين مثل الحواريين.

والتحذير من أذى الرسول صلى الله عليه وسلم تعريضاً باليهود مثل كعب بن الأشرف.

وضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام .

والتعريضُ بالمنافقين .

والوعدُ على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصرِ والفتحِ .

١- أنظر "البحر المحيط" (ج٨، ص٢٥٨)

٢- أنظر "مفاتيح الغيب" (ص٢٧٠)

٣- أنظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص:١٧٣)

الفصل الثاني: دراسة تحليلية لسورة الصف

المبحث الأول: دراسة الآيات من ١ إلى ٤

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

المطلب الثاني: معاني المفردات

المطلب الثالث : الإعراب

المطلب الرابع: البلاغة

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات:

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات

المبحث الثاني: دراسة الآيات من ٥ إلى ٧

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

المطلب الثاني: معاني المفردات

المطلب الثالث : الإعراب

المطلب الرابع: البلاغة

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات:

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات

المبحث الثالث: دراسة الآيات من ٨ إلى ٩

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

المطلب الثاني: معاني المفردات

المطلب الثالث : الإعراب

المطلب الرابع: البلاغة

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات

الفصل الثاني: دراسة تحليلية لسورة الصف

المبحث الأول: دراسة الآيات من ١ إلى ٤

قال الله تعالى : {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤}

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

جاء في آخر السورة التي قبل سورة الصف النهي عن تولي الكفار { يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ...} (الممتحنة من الآية ١٣) فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم، فحض تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم[١].

واختلف العلماء في سبب نزول الآيات حيث جاء في سنن الترمدي عن عبد الله بن سَلاَم قال : (قَعدْنَا نَفَرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله لعملناه) فأنزل الله تعالى : {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ

١- أنظر " البحر المحيط" (ج٨، ص:٢٥٨)

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ } (الصف : ١ ، ٢). قال عبد الله بن سَلاَم : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

وجاء في رواية للدارمي بزيادة "فقرأها علينا رسول الله حتى ختمها أو فقرأها كلها"[٢].

المطلب الثاني: معاني المفردات

كبُر: عظُم

الـــمَقْت: البُغْض الشَّديد، ورجل مقيت وممقوت إذا كان يبغضه كل أحد، وكان عرب الجاهلية يطلقون عبارة (نكاح المقت) لمن يتزوّج زوجة أبيه[٣].

والمرصوص: المـــُحكم، قال المبرد: تقول رصصت البناء إذا لاءمت بين أجزائه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة ومنه الرصيص وهو انضمام الإنسان[٤].

المطلب الثالث : الإعراب

- {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾}

جملة {وهو العزيز} حالية من الجلالة[٥].

- {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ }

١- الحديث أخرجه أحمد ج٥ ص٤٥٢، والترمذي ج٤ ص١٩٩ وبين ما فيه من الاختلاف على الأوزاعي، وابن حبان ص٣٨٣ من موارد الظمآن، والحاكم ج٢ ص٦٩ وص٢٩٩ وص٤٨٧، وقال في الثلاثة المواضع صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

٢- أنظر " التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص:١٧٢)

٣- أنظر " الكشاف" (ج٤، ص:٥٢٣)

٤- أنظر "تفسير المراغي" و"روح المعاني" ص ٨٤ جزء ٢٨

٥- انظر "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ

قوله {لِمَ} أصلها "لـــما" اللام جارة، وحذفت ألف {ما} لسَبْقِها بحرف جر ولأنّ ما والحرف كشيء واحد ، ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم ، وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان، ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، {ما} اسم استفهام في محل جر متعلق بـــــ{تقولون}[1].

وجملة {تقولون} جواب النداء مستأنفة، و{ما} اسم موصول مفعول به[2].

- {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣}

جملة {كَبُر} مستأنفة، {مَقْتا} تمييز، الظرف{عند} متعلق بـــ {كبر}، والمصدر المؤول مِنْ {أنْ} وما بعدها فاعل {كبر}.[3]

- {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤}

{إنّ اللّه يحبّ} لا محلّ لها استئنافيّة. وجملة {يحبّ} في محلّ رفع خبر إنّ[4].

{صفًّا} حال من الواو في{يقاتلون}[5].

{كأنهم بنيان} في محل نصب حال ثاني[6].

المطلب الرابع البلاغة

- في قوله تعالى {لم تقولون ما لا تفعلون}، الاستفهام للإنكار، و{مَا} في الموضعين موصولة، وهي بمعنى لام العهد، أي الفعل الذي وَعدتم أن تفعلوه وهو أحبّ الأعمال إلى الله أو الجهادُ.[1]

١- انظر "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و" الكشاف" ص٥٢٢ المجلد ٤ و"الجدول في أعراب القرآن) (ج٢٨، ص٢١٣)

٢- انظر لنفس المصدر

٣- انظر لنفس المصدر

٤- النظر "الجدول في أعراب القرآن" ج ٢٨ ، ص : ٢٣٧

٥- انظر "مشكل إعراب القرآن"

٦- انظر "مشكل إعراب القرآن" و"الجدول في إعراب القرآن"

- وفي قوله تعالى{كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ } الكِبَر: مستعار للشدة لأن الكبير فيه كثرة وشدة في نوعه[٢].

وقيل للمبالغة والتكرير: فهذا من أفصح الكلام وأبلغه، ففي معناه قصد إلى التعجب بغير صيغة التعجب، لتعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون، إلا من شيء خارج من نظائره وأشكاله[٣].

وقال ابن عاشور أن الكلام نُظِم بطريقة الإجمال ثم التفصيل بالتمييز لتهويل هذا الأمر في قلوب السامعين لكون الكثير منهم بمظنة التهاون في الحيطة منه حتى وقعوا فيما وقعوا يوم أُحد. ففيه وعيد على تجدد مثله، وزيد المقصود اهتماماً بأن وصف المقت بأنه عند الله، أي مقتٌ لا تسامح فيه[٤].

- وفي إعادة قوله تعالى لـــ{ما لا تَفْعَلُونَ} وهو لفظ واحد في كلام واحد، ومن فوائد التكرار: التهويل والإعظام. وإلا فقد كان الكلام مستقلا لو قيل: كبر مقتا عند اللّه ذلك، فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية[٥].

- أما بالنسبة لقوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤}،

فقد ورد النهي العام أولا في الآية الثالثة، ثم أتى عقب هذا النهي العام مباشرة اندراج الخاص بالعام. وفي ذكره ذلك، عقب النهي العام مباشرة، دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا[٦].

والصفّ هنا : كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبّر[٧]

١- انظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص١٧٥)

٢- انظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص١٧٥)

٣- انظر "الكشاف" (ج٤، ص٥٢٣)

٤- انظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص١٧٥)

٥- انظر "الكشاف" (ج٤، ص٥٢٣)

٦-انظر " الحاوي في تفسير القرآن الكريم" وجاء فيه ما يلي: " كما تقول للمقترف جرما معينا: لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيدا، وفائدة مثل هذا النظم: النهي عن الشيء الواحد مرتين، مندرجا في العموم، ومفردا بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين، فإن ذلك معدود في حين التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل"

٧- انظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨، ص١٧٥)

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات:

١. في الآية الكريمة {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١}، قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر{وَهْوَ}، ووافقهم[١] اليزيدي والحسن. وقرأ الباقون {وَهُوَ} ووقف عليها يعقوب بهاء السكت[٢].

٢. قوله تعالى {لِمَ } في الآيتين {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ } و{ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ }، وقف البزي ويعقوب بخلف عنهما بهاء السكت، وغيرهما بحذفها.[٣]

٣. قوله تعالى {كَأَنَّهُم} في الآية {كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤} قرأ الأصبهاني بتسهيل الهمزة، وكذا حمزة وقفا، وله التحقيق أيضا كالباقين[٤].

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات

القول في تأويل قوله تعالى : {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١} أي شهد له بالربوبية والوحدانية والقدرة وغيرهما من صفات الكمال جميع ما في السموات والأرض، وهو الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، الحكيم في تدبير خلقه وفق ما سنّه من السنن، وأرشد إليه من ضروب الهداية[٥].

١- تم استعمال لفظ "وافق" بالنسبة للقراءات الشاذة الأربعة الزائدة على العشر وهي؛ قراءات الأئمة ابن محيصن والحسن البصري ويحيى اليزيدي والأعمش.

٢- "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف ص٥٥١

٣- أنظر "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة" ص ٣١٩ و"الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٤-انظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٥-انظر " تفسير المراغي ، ج ٢٨ ، ص : ٨١

وفي إجراء وصف (العزيز) عليه تعالى هنا إيماء إلى أنه الغالب لعدوّه فما كان لكم أن تَرهَبُوا أعداءه فتفرّوا منهم عند اللقاء. وإجراء صفة (الحكيم) إن حملت على معنى المتصف بالحكمة أن الموصوف بالحكمة لا يأمركم بجهاد العدوّ عبثاً ولا يخليهم يغلبونكم. وإن حملت على معنى المُحكِم للأمور فكذلك[1].

وقوله : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢} إنكار على من يَعد عدَةً ، أو يقول قولا لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم لا.[2]

وقوله تعالى: { كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ } هذا تأكيد من الله سبحانه وتعالى لهذا الإنكار عليهم.

وبعد أن ذمّ المخالفين في أمر القتال وهم الذين وعدوا و لم يفعلوا، مدح الذين قاتلوا في سبيله فقال: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ } أي إن اللّه يحب الذين يصفّون أنفسهم حين القتال ولا يكون بينهم فرج فيه كأنهم بنيان متلاحم الأجزاء، كأنه قطعة واحدة.

المبحث الثاني: دراسة الآيات من ٥ إلى ٧

قال الله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦}

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

١-انظر "التحرير والتنوير"(ج ٢٨ص١٧٤)

٢-انظر "تفسير ابن كثير" ج٨، ص١٠٥

موقع هذه الآية هنا خفي المناسبة[1]

١. فيجوز أن تكون الجملة معترضة استئنافاً ابتدائياً انتقل به من النهي عن عدم الوفاء بما وعدوا الله عليه إلى التعريض بقوم آذوا النبي صلى الله عليه وسلم بالقول أو بالعصيان أو نحو ذلك، فيكون الكلام موجهاً إلى المنافقين. وعلى هذا الوجه فهو اقتضاب نقل به الكلام من الغرض الذي قبله لتمامه إلى هذا الغرض، أو تكون مناسبة وقعه في هذا الموقع حدوث سبب اقتضى نزوله من أذى قد حدث لم يطلع عليه المفسرون ورواة الأخبار وأسباب النزول. والواو على هذا الوجه عطف غرض على غرض. وهو المسمّى بعطف قصة على قصة.

٢. ويجوز أن يكون من تتمة الكلام الذي قبلها ضرب الله مثلاً للمسلمين لتحذيرهم من إتيان ما يؤذي رسوله صلى الله عليه وسلم ويسوؤه من الخروج عن جادة الكمال الديني مثل عدم الوفاء بوعدهم في الإتيان بأحبّ الأعمال إلى الله تعالى. وأشفقهم من أن يكون ذلك سبباً للزيغ والضلال كما حدث لقوم موسى لمّا آذوه. وعلى هذا الوجه فالمراد بأذى قوم موسى إياه : عدم توخي طاعته ورضاه ، فيكون ذلك مشيراً إلى ما حكاه الله عنه من قوله : {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين} (المائدة : ٢١) ، إلى قوله: {قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } (المائدة : ٢٤) . فإن قولهم ذلك استخفاف يدل لذلك قوله عَقِبَه { قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين } (المائدة : ٢٥). وقد يكون وصفهم في هذه الآية بقوله : { والله لا يهدي القوم الفاسقين } ناظراً إلى وصفهم بذلك مرتين في آية سورة العقود في قوله : { فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين } (المائدة : ٢٥) وقوله : {فلا تأس على القوم الفاسقين } (المائدة : ٢٦) . فيكون المقصود الأهم من القصة هو ما تفرع على ذكرها من قوله : {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}.

٣. ويناسب أن تكون هذه الآية تحذيراً من مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وعبرة بما عرض لهم من الهزيمة يوم أُحُد لما خالفوا أمره من عدم ثبات الرماة في مكانهم. وقد تشابهت القصتان في أن القوم فرّوا يوم أُحُد كما فرّ قوم موسى يوم أريحا ، وفي أن الرماة الذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا

١-انظر "التحرير والتنوير" (ج ٢٨ ، ص:١٧٨،١٧٧)

يبرحوا مكانهم (ولو تخطَّفَنا الطير) وأن ينضحوا عن الجيش بالنبال خشية أن يأتيه العدوّ من خلفه لم يفعلوا ما أمرهم به وعصوا أمر أميرهم عبد الله بن جبير وفارقوا موقفهم طلباً للغنيمة فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين يوم أُحُد.

المطلب الثاني: معاني المفردات

تؤذونني: أي تخالفون أمري بترك القتال.

زاغوا: أي أصرّوا على الزيغ والانحراف عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام.

أزاغ الله قلوبهم: أي صرفها عن قبول الحق.

الفاسقين : أي الخارجين عن الطاعة ومنهاج الصدق المصرّين على الغواية.

أحمد: من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل[1]

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة[2]، أفرد فيها الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي، المعروف بابن عساكر رحمه الله بابًا في تاريخ دمشق[3]، ذكر فيه أسماء كثيرة، جاء بعضها في الصحيحين، وباقيها في غيرهما، منها:

محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفي، والماحي، وخاتم النبيين، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة – وفي رواية: نبي الملاحم –، ونبي التوبة، والفاتح، وطه، وياسين، وعبد الله [4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم)[5].

١- أنظر "الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٨ ، ص ٨٣ و "تفسير المراغي" ج ٢٨ ، ص ٨٦

٢- قال القسطلاني في المواهب اللدنية ١١/٢: «وكثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمى».

٣- (ص١٢) وانظر: تهذيبه ٢٧٤/١.

٤- بعض المذكورات أسماء، وبعضها صفات، وكلها ثابتة بأحاديث صحيحة أو حسنة، غير الفاتح، وطه، ويس، فإنه لم يثبت أنها من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم؛ أما الفاتح: فقد قال الذهبي في «السيرة» من تاريخ الإسلام (ص٣٣) أنه يروى بإسناد واهٍ عن أبي الطفيل، وأمّا (طه): فذلك يروى عن ابن عباس، وقد نقله عنه الكلبي وهو متروك، والثابت عن ابن عباس أن معنى (طه): يا رجل، بالنبطية، واختار هذا القول إمام المفسرين: ابن جرير يرحمه الله كما في تفسيره ١٣٦/١٦، أما (يس) وكذلك (طه): فلم يصح أنهما من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هما اسما سورتين من القرآن، وهما مثل (ص)، (ن)، ونحوهما.

٥- رواه ابن عدي، كما في «تهذيب تاريخ دمشق» ٢٧٥/١، ورواه ابن عساكر أيضًا في «تاريخ دمشق» (ص٢٤) وفي سنده إسحاق بن بشر، وهو كذاب متروك. راجع ميزان الاعتدال، للذهبي ١٨٤/١. وعليه فلا يعتمد على هذا الحديث في إثبات اسم أحيد، أما الاسمان الأولان: محمد وأحمد فهما ثابتان بنص القرآن.

التبشير : الإخبار بحادث يسُرّ

والصفة أفعل يراد بها التفضيل. فمعنى "أحمد" أي أحمد الحامدين لربه والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبينا أحمد أكثرهم حمدا[1].

وأما محمد فمنقول من صفة أيضا، وهي في معنى محمود؛ ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار. فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة. كما أن المكرم من الكرم مرة بعد مرة. وكذلك الممدح ونحو ذلك. فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سماه قبل أن يسمي به نفسه. فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقا عليه؛ فهو محمود في الدنيا لما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة. وهو محمود في الآخرة بالشفاعة. فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ. ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه؛ فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال: "اسمه أحمد". وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له. فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل. وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته[2]

المطلب الثالث : الإعراب

- {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ }،

{الواو} استئنافية، {إذ} اسم ظرفيّ في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر، {قوم} منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، وهي مضاف إليه، { لم تؤذونني} جواب النداء و{ما} للاستفهام حذفت ألفها. {الواو} حاليّة {قد} للتحقيق[3]، وجملة {وقد

١- أنظر "الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٨ ، ص ٨٣

٢- أنظر "الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٨ ، ص ٨٣

٣- ذلك لتحقّق علمهم برسالته فليست للتقليل ولا للتقريب

تعلمون} حال من فاعل {تؤذونني}، {إليكم} متعلّق بـــ {رسول}. والمصدر المؤوّل {أنّي رسول} في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي تعلمون[1].

- { فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}، {الفاء} استئنافيّة {لمـــّا} ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشرط متعلّق بالجواب أزاغ {الواو} استئنافيّة. وجملة : {زاغوا} في محلّ جرّ مضاف إليه. وجملة : {أزاغ اللّه} لا محلّ لها جواب شرط غير جازم. وجملة : {اللّه لا يهدي} لا محلّ لها استئنافيّة. وجملة: {لا يهدي} في محلّ رفع خبر المبتدأ {اللّه}.[2]

- وفي قوله تعالى {وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦}، {وإذ قال عيسى} مثل وإذ قال موسى الواو هنا عاطفة، {ابن} بدل من عيسى مرفوع[3]، {مصدّقا} حال من الضمير في رسول، اللام في {لما} زائدة للتقوية، و{ما} اسم موصول مفعول به لـــ {مصدّقًا}، {بين} ظرف منصوب متعلّق بمحذوف صلة ما، {من التوراة} متعلّق بحال من الضمير في الصلة المحذوفة، {فلما جاءهم} مثل لمـــّا زاغوا؛ وفاعل جاءهم ضمير يعود على أحمد، وجملة النداء في محلّ نصب مقول القول. وجملة: {إنّي رسول} لا محلّ لها جواب النداء. و{يأتي} في محلّ جرّ نعت لرسول. و{اسمه احمد} في محلّ جرّ نعت ثان لرسول. {أحمد} اسم علم من أسماء الرسول عليه السلام مأخوذ من الحمد، وهو على صيغة المضارع مبدوءا بهمزة لمتكلم، فهو ممنوع من التنوين. و{ قالوا } لا محلّ لها جواب شرط غير جازم. و{هذا سحر} في محلّ نصب مقول القول[4].

المطلب الرابع: البلاغة

١- الجدول في إعراب القرآن ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٥

٢- الجدول في إعراب القرآن ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٤

٣- أو عطف بيان عليه ، أو نعت له.

٤- أنظر "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٥ و"مشكل إعراب القرآن"

قوله تعالى {إذ} متعلقة بفعل محذوف تقديره: أُذْكُر

الاستفهام {لـــم تؤذونني} للإنكار

و{قد} لتحقيق معنى الحالية و{تعلمون} جاءت بعد {قد} بالمضارع للدلالة على أن علمهم بذلك مجدّد بتجدد الآيات والوحي[1].

قوله تعالى :{فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} استعارة؛ والزيغ هو الميل عن الحق ، أي لما خالفوا ما أمرهم رسولهم جعل الله في قلوبهم زيغاً، أي تمكن الزيغ من نفوسهم فلم ينفكوا عن الضلال.

جملة {والله لا يهدي القوم الفاسقين} تذييل، أي وهذه سنة الله في الناس فكان قوم موسى الذين آذوْه من أهل ذلك العموم[2].

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات

١. في قوله تعالى : {رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ } وقف حمزة بالتحقيق وبالتسهيل بين بين[3].

٢. في قوله تعالى :{تُوْذُونَنِى} قرأ بها ورش من طريقيه؛ الأزرق والأصبهاني، وأبو عمرو بخلفه، وأبو جعفر، ووقفا حمزة. ووافق اليزيدي أبا عمرو. وقرأ الباقون { تُؤْذُونَنِى}وهو الثاني لأبي عمرو وموافقه اليزيدي[4].

٣. قوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ } في الآيتين السادسة والرابعة عشر معا، قرأ أبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية مع المد والقصر، وكذا حمزة عند الوقف مع فارق المد بينهما، فكل حسب المذهب المتقدم في الأصول[5].

٤. {يَدَىَّ} وقف يعقوب بهاء السكت بخلف عنه[1].

١- التحرير والتنوير (ج٢٨ ص١٧٩)

٢- التحرير والتنوير (ج٢٨ ص١٧٩)

٣- أنظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٤-نفس المصدر

٥-انظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٥. قوله تعالى {مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ} قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء {مِنْ بَعْدِيَ اسْمُهُ}[٢]. وأضاف صاحب (البدور الزاهرة) أبا جعفر ويعقوب[٣]. ووافقهم من القراء الأربعة، ابن محيصن، واليزيدي، والحسن[٤]. وحجتهم التقاء الساكنين: سكون الياء وسكون السين[٥]
وقرأ الباقون؛ بن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي بإسكان الياء أي {مِنْ بَعْدىْ اسْمُهُ}[٦]. وحجتهم استثقال الحركة فيها[٧].

٦. قوله تعالى: {ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ} وقف حمزة بالتحقيق مع السكت وعدمه، وبالنقل فيقرأ {اسْمُهوَحْمَدْ}، وبالإدغام فيقرأ {اسْمُهُوَّحْمَدْ}[٨].

ولحمزة في الهمزة الأولى حالة الوقف أيضا: التحقيق مع السكت وعدمه، والنقل والإدغام، وعلى كل من هذه الأوجه الأربعة يأتي التسهيل مع المد والقصر في الثانية فهي ثمانية أوجه. وللأزرق ثلاثة البدل بخلف عنه. ووافق المطوعي أبا جعفر[٩]

٧. في قوله تعالى {ساحِر} قرأ حمزة، والكسائي، وخلف بالألف[١٠]. ووافقهم الأعمش[١١]. ورقق ورش راءه. وحجتهم إجماع الجميع على قوله: {فقالوا ساحرٌ كذّابٌ}(سورة غافر الآية ٢٤)[١٢].

١-انظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٢-أنظر "السبعة في القراءات" ص٧٠٧

٣-أنظر "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة" ص ٣١٩

٤-انظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٥-أنظر " الحجة في القراءات السبع " ص ٣٤٥

٦-أنظر "السبعة في القراءات" ص٧٠٧

٧-أنظر " الحجة في القراءات السبع " ص ٣٤٥

٨- أنظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

٩-انظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" ص٥٥١

١٠- انظر ""الشامل في القراءات المتواترة" ص٢٦٤ و"البدور الزاهرة" ص٣١٩ و حجة القراءات" ص٧٠٧ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢)

١١- انظر ""الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢)

١٢- انظر "حجة القراءات" لابن زنجلة ص٢٤٠

وقرأ الباقون ب {سِحْر}[1]. وحجتهم قوله تعالى {إِنْ هَذا إِلاّ سِحْرُ يُؤثَر} (سورة المدثر الآية ٢٤) وقوله تعالى {سِحْرٌ مُسْتَمِرّ}(سورة القمر الآية ٢). وذكر اليزيدي عن أبي عمرو فقال: "ما كان في القرآن (مبين) فهو (سِحْر) بغير ألف وما كان (عليم) فهو (ساحِر) بالألف"[2].

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات

في هاتين الآيتين مسألتين:

الأولى أنه من خالف أمر رسول الله سينال عقابه حتما. وهنا ذكر القرطبي أن الحق سبحانه وتعالى لما ذكر أمر الجهاد بين من خلال قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ...} أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله؛ وحل العقاب بمن خالفهما؛ أي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة[3].

والثانية أن قلوب العباد بيد الله عز وجل كما جاء في حديث أَنَسٍ رضى الله عنه حيث قَال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ :نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)[4]

١- انظر ""الشامل في القراءات المتواترة" ص٢٦٤ و"البدور الزاهرة" ص٣١٩ و"الحجة القراءات السبع " لابن خالويه ص ٣٤٥ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢)

٢- انظر "حجة القراءات" لابن زنجلة ص٢٤٠

٣- أنظر تفسير القرطبي" ج١٨ ، ص٨٢

٤- الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، برقم 2140، وأحمد، ١٩/ ١٦٠، برقم ١٢١٠٧، ومصنف بن أبي شيبة، ١١/ ٣٦، برقم 31044، وشعب الإيمان للبيهقي، ٢/ ٢٠٩، ومسند أبي يعلى، ٦/ ٣٥٩، والمختارة للضياء المقدسي، ٢/ ٤٥٨، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (ج٥ ، ص١٤٠).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (يا رسول اللَّه، إنك تُكثر أن تدعو بهذا الدعاء؟ فقال صلى الله عليه وسلم إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عز وجل فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ)[1].

وقال القرطبي في قوله تعالى:{فَلَمَّا زَاغُوا} أي مالوا عن الحق {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} أي أمالها عن الهدى. وقيل: {فَلَمَّا زَاغُوا} عن الطاعة {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} عن الهداية. وقيل: {فَلَمَّا زَاغُوا} عن الإيمان { أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} عن الثواب. وقيل : أي لما تركوا ما أمروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب، خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم.[2]

وفي قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ} أي واذكر لهم هذه القصة أيضا. وقال القرطبي في هذا الشأن أن قال الحق سبحانه وتعالى على لسان عيسى : {يَا بَنِي إِسْرائيلَ} ولم يقل {يا قوم} كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه.[3]

المبحث الثالث: دراسة الآيات من ٨ إلى ٩

قال الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾}

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

١- مسند أحمد، ٤١/ ١٥١، برقم ٢٤٦٠٤، وسنن النسائي الكبرى، كتاب صفة الصلاة، الاستغفار بعد التسليم، ٤/ ٤١٤، برقم ٧٦٩٠ من حديث النواس بن سمعان، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، برقم ١٩٩، ومستدرك الحاكم، ١/ ٥٢٥، وصحيح ابن حبان، ١/ ١٣٥، والأسماء والصفات للبيهقي، ص 322، وهناك روايات عن أم سلمة ، وعن سبرة بن فاتك الأسدي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٦٥، وغيره.

٢- أنظر تفسير القرطبي" ج١٨ ، ص٨٢

٣- أنظر تفسير القرطبي" ج١٨ ، ص٨٢

كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مماثلة دعوة عيسى عليه السّلام وكان جواب الذين دعاهم إلى الإِسلام من أهل الكتابين والمشركين مماثلاً لجواب الذين دعاهم عليه السّلام. فلما أدمج في حكاية دعوة عيسى بشارته برسول يأتي من بعده ناسب أن ينقل الكلام إلى ما قابل به قوم الرسول الموعود دعوة رسولهم فلذلك ذكر في دعوة هذا الرسول دين الإِسلام فوصفوا بأنهم أظلم الناس تشنيعاً لحالهم[1].

المطلب الثاني: معاني المفردات

الإسلام : الاستسلام والانقياد والخضوع للّه عز وجل. واللّه متم نوره : أي واللّه متم الحق ومبلغه غايته. بالهدى : أي بالقرآن. ودين الحق : أي بالملة السمحة. ليظهره : أي ليعليه. على الدين كله: أي على سائر الأديان[2].

المطلب الثالث : الإعراب

جملة {ومن أظلم} مستأنفة، الجار {ممن} متعلق بـــ {أظلم}، جملة {وهو يُدعى} حالية[3].

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}

وجملة {يريدون } لا محلّ لها استئنافية ومفعول{يريدون} محذوف أي: يريدون إبطال القرآن ليطفئوا...، اللام زائدة وجملة {والله مُتِمُّ} حال من فاعل {يريدون}، جملة {ولو كره الكافرون} حالية من الضمير في {مُتِمّ}، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله أي: أتَمَّه وأظهره، وهذه الواو عطفت على حال مقدرة للاستقصاء أي: والله متمُّ نورِه في كل حال، ولو في هذه الحال. وجملة {وَلَوْ كَرِهَ الكافرون}حالية.[4]

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}

{بالهدى} متعلّق بحال من فاعل أرسل أو من مفعوله {اللام} للتعليل {يظهره} مضارع منصوب بأن

١- أنظر " التحرير والتنوير " (ج٢٨ ص١٨٧)

٢- أنظر "تفسير المراغي"، ج ٢٨ ، ص ٨٦

٣- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

٤- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

مضمرة بعد اللام {على الدين} متعلّق بـــ {يظهره} بتضمينه معنى يعليه {الواو} حاليّة {لو كرِه المشركون} مثل لو كره الكافرون[1].

المطلب الرابع: البلاغة

والاستفهام ب {من أظلم} إنكار، أي لا أحد أظلم من هؤلاء فالمكذبون مِن قبلهم، إما أن يكونوا أظلم منهم وإمّا أن يساووهم على كل حال، فالكلام مبالغة .[2]

{والله لا يهدي القوم الظالمين } تأييس لهم من الإقلاع عن هذا الظلم[3]

الاستعارة التمثيلية : في قوله تعالى { يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ} تمثيل حالهم وتشبيه، في اجتهادهم في إبطال الحق، بحالة من ينفخ الشمس بفيه ليطفئها، تهكما وسخرية بهم ، كما تقول الناس : هو يطفئ عين الشمس. وذهب بعض الأجلة إلى أن المراد بنور اللّه دينه تعالى الحق ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، وكذا في قوله تعالى وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ[4]. وقال ابن عاشور أن ذكر الأفواه في إطفاء نور الله لأنه قد يكون بغير الأفواه كالمروحة والكير، والواقع أنهم أرادوا إبطال لآيات القرآن بزعم أنها من أقوال السحر كما جاء قوله تعالى في سورة التوبة الآيات من ٣٠ إلى ٣٢ {وقالت اليهود عزير ابن الله} إلى قوله : {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره}[5].

{والله لا يهدي القوم الظالمين } تأييس لهم من الإقلاع عن هذا الظلم[6]

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات

١- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

٢- أنظر "التحرير والتنوير" ، ج ٢٨ ، ص : ١٨٨

٣- أنظر "التحرير والتنوير" ، ج ٢٨ ، ص : ١٨٩

٤- أنظر " الجدول في إعراب القرآن ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٧

٥- أنظر "التحرير والتنوير" ، ج ٢٨ ، ص : ١٩٠

٦- أنظر "التحرير والتنوير" ، ج ٢٨ ، ص : ١٨٩

١. قوله تعالى {مُتِمُّ نُورِهِ}، قرأ بها على الإضافة كل من ابن كثير، وحفص، وحمزة، والكسائي[١]، وخلف، ويعقوب. ووافقهم الأعمش[٢]. وحجتهم فيها وجهان: أحدهما أن الإضافة قد استعملها العرب في الماضي والمنتظر وأن التنوين لم يستعمل إلا في المنتظر خاصة، فلما كانا مستعملين وقد نزل بهما القرآن، أخذ بأكثر الوجهين أصلا. والوجه الآخر: أن يراد به التنوين ثم يُحذف التنوين طلبا للتخفيف كما قال الله عز وجل {كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الـــمَوْت} (آل عمران من الآية ١٨٥) وقوله : { إنكم لذائقوا العذابِ الأليم} (سورة الصافات الآية ٣٨) [٣]

وقرأ الباقون بـــ {مُتِمٌّ نُورَهُ} بالتنوين وفتح الراء [٤]. وحجتهم أن الفعل منتظر، فالتنوين هو الأصل وهو وعد من الله فيما يستقبل وفي حال الفعل كما تقول : " أنا ضاربٌ زيداً "[٥]

٢. في قوله تعالى {لِيُطْفُوا} قرأ بها أبو جعفر[٦].

وقرأ الباقون ب{لِيُطْفِئُوا}[٧]. ووقف حمزة بالتسهيل كالواو، وبالحذف، وبالإبدال ياء خالصة. وقرأ الأزرق بثلاثة البدل[٨].

٣. وقرأ ابن عامر {تُنَجِّيْكُمْ} مشددا[١]. وحجتهم قوله تعالى {ونـــجـــّينا الذين آمنوا}(سورة فصلت الآية ١٨)[٢].

١- انظر "الشامل في القراءات المتواترة" ص٢٦٤ و"البدور الزاهرة" ص٣١٩ و"الحجة القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٥ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لخاروف (ص ٥٥٢)

٢- انظر " الميسر في القراءات الأربع عشر' ص٥٥١

٣- انظر " حجة القراءات ' لابن زنجلة ص٧٠٨

٤- "الشامل في القراءات المتواترة" ص٢٦٤ و"البدور الزاهرة" ص٣١٩ و"الحجة القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٥ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢)

٥- انظر " حجة القراءات ' لابن زنجلة ص٧٠٨

٦- انظر " الميسر في القراءات الأربع عشر' ص٥٥١ و "الشامل في القراءات المتولترة" ص٢٦٤

٧- انظر " الميسر في القراءات الأربع عشر' ص٥٥١ و "الشامل في القراءات المتولترة" ص٢٦٤

٨- انظر " الميسر في القراءات الأربع عشر' ص٥٥١

وقرأ الباقون {تُنْجِيْكُمْ} مخففة[3]. وحجتهم قوله تعالى {فأنْـــجاه الله منَ النّار}(سورة العنكبوت الآية ٢٤)[4].

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات

قوله تعالى : {نُورَ اللَّهِ } من الآية الكريمة {يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ }، جاء في الجامع لأحكام القرآن[5] خمسة أقاويل :

أحدها : أنه القرآن ؛ يريدون إبطاله وتكذيبه بالقول ؛ قاله ابن عباس وابن زيد.

والثاني : أنه الإسلام ؛ يريدون دفعه بالكلام ؛ قاله السدي.

الثالث : أنه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ يريدون هلاكه بالأراجيف ؛ قاله الضحاك.

الرابع : حجج الله ودلائله ؛ يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم ؛ قال ابن بحر.

١- "الشامل في القراءات المتواترة" ص٢٦٤ و"البدور الزاهرة" ص٣١٩ و"الحجة القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٥ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢) و"السبعة في القراءات" ص٦٣٥ و"حجة القراءات " لابن زنجلة ص ٧٠٨ و"التيسير في القراءات السبع" للداني ص٢١٠

٢- انظر " حجة القراءات ' لابن زنجلة ص٧٠٨

٣- "الشامل في القراءات المتواترة" ص٢٦٤ و"البدور الزاهرة" ص٣١٩ و"الحجة القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٥ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢) و"السبعة في القراءات" ص٦٣٥ و"حجة القراءات " لابن زنجلة ص ٧٠٨ و"التيسير في القراءات السبع" للداني ص٢١٠

٤- انظر " حجة القراءات ' لابن زنجلة ص٧٠٨

٥- أنظر تفسير القرطبي" ج١٨ ، ص٨٥

الخامس : أنه مثل مضروب ؛ أي من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا فكذلك من أراد إبطال الحق ؛ حكاه ابن عيسى.

المبحث الرابع: دراسة الآيات من ١٠ إلى ١٤

قال الله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ }

المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول

هذا تخلص إلى الغرض الذي افتتحت به السورة من قوله : (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (إلى قوله : (كأنهم بنيان مرصوص ((الصف : ٢ ٤) . فبعد أن ضربت لهم الأمثال ، وانتقل الكلام من مجال إلى مجال ، أعيد خطابهم هنا بمثل ما خوطبوا به بقوله : (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ((الصف : ٢) ، أي هل أدلكم على أحب العمل إلى الله لتعملوا به كما طلبتم إذْ قلتم لو نعلم أيَّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملنا به فجاءت السورة في أُسلوب الخطابة.[١]

المطلب الثاني: معاني المفردات

١- أنظر "التحرير والتنوير" ، ج ٢٨ ، ص : ١٩٣

قوله تعالى {ظَاهِرِينَ} : أي قاهرين لهم مستولين عليهم . وقال زيد بن عليّ وقتادة : ظاهرين: غالبين بالحجة والبرهان[1]

التجارة هنا : ما يقدمه المرء من عمل صالح ، لينال به الثواب كما قال سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} (سورة التوبة من الآية ١١١)،

طيبة : أي طاهرة مستلذة ، جنات عدن : أي بساتين إقامة وخلود ، قريب : أي عاجل وهو فتح مكة ، وحواري الرجل : صفيه وخليله ، وأنصار اللّه : أي الناصرون لدينه ، فأيدنا : أي قوّينا وساعدنا، على عدوهم : أي الكفار ، ظاهرين : أي غالبين[2]

المطلب الثالث : الإعراب

في قوله تعالى {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠} جملة الاستفهام مستأنفة، جواب النداء، جملة "تنجيكم" نعت[3].

وفي قوله تعالى: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} جملة "تؤمنون" تفسيرية للتجارة، الجار "لكم" متعلق بـــ " خير"، جملة "إن كنتم تعلمون" مستأنفة، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله.[4]

وفي قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} جملة "يغفر" مجزوم جواب شرط مقدر أي: إن تؤمنوا يغفر لكم، "جنات" مفعول ثان.[5]

وفي قوله تعالى: {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} قوله "وأخرى": مبتدأ، وجملة "تحبونها" نعت، و"نصر" خبر المبتدأ "أخرى"، الجار "من الله" متعلق بنعت له، وجملة "وبشِّر المؤمنين" مستأنفة[1].

١- أنظر البحر المحيط، ج ٨ ، ص ٢٦١

٢- أنظر"تفسير المراغي" ، ج ٢٨ ، ص : ٨٩

٣- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

٤- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

٥- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّومِ و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

وفي قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ١٤ }، الكاف نائب مفعول مطلق لقول مقدر أي: قلنا لهم ذلك قولا مثل قول عيسى، الجار "إلى الله" متعلق بحال من الياء أي: كائنا، بمعنى متوجها إلى الله. جملة "قال" مستأنفة، جملة "آمنت" مستأنفة، الجار "من بني" متعلق بنعت لـــ "طائفة"، جملة "أيّدْنا" معطوفة على جملة "كفرت".[٢]

المطلب الرابع: البلاغة

في قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ } يلاحظ أن الاستفهام خارج عن معناه الأصلي ليفيد التشويق. والاستفهام مستعمل في العَرض مجازاً لأن العارض قد يسأل المعروضَ عليه ليعلم رغبته في الأمر المعروض كما يقال: هل لك في كذا ؟ أو هل لك إلى كذا ؟ والعرض هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالته إياهم على تجارة نافعة[٣].

وأطلق على العمل الصالح لفظُ التجارة على سبيل الاستعارة لمشابهة العمل الصالح التجارةَ في طلب النفع من ذلك العمل ومزاولته والكد فيه، وقد تقدم في قوله تعالى: {فما ربـــحت تجارتهم} في سورة البقرة. ووصف التجارة بأنها تنجي من عذاب أليم، تجريد للاستعارة لقصد الصراحة بهذه الفائدة لأهميتها وليس الإنجاء من العذاب من شأن التجارة فهو من مناسبات المعنى الحقيقي للعمل الصالح[٤] .

المطلب الخامس : القراءات الواردة في الآيات:

١- "مشكل إعراب القرآن الكريم" لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّوم و "الجدول في إعراب القرآن" ، ج ٢٨ ، ص : ٢٣٦

٢- مشكل إعراب القرآن الكريم لعبد الله محمد ابْنُ عَاجُرُّوم

٣- التحرير والتنوير (ج٢٨ ص١٩٣)

٤- التحرير والتنوير (ج٢٨ ص١٩٤)

١. وقوله تعالى {كُونُوا أَنْصارَ اللهِ} مضافا، قرأ بها ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي[١]، وخلف، ويعقوب. ووافقهم الأعمش[٢]. وحجتهم في ذلك إجماع الجميع على الإضافة في قوله تعالى { نحن أنصارُ الله} و لم يقل (نحن أنصارٌ لله)، فكان رد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى[٣].

وقرأ الباقون بـــ{كُونُوا أَنْصاراً للهِ} بالتنوين وزيادة لام مكسورة في اسم الجلالة.

٢. وقوله تعالى{أَنْصَارِىَ إلى اللهِ} قرأها بفتح الياء نافع وأبو جعفر. وسكنها الباقون أي {أَنْصَارِىْ إلى اللهِ}[٤].

أما القراءات الشاذة التي لم توافق أيا من المتواترة فهي كاتالي:

- {تِعْلَمُون} قرأ بها المطوعي. وهي لغة مطردة في حرف المضارعة، وذلك بشرط ألا يكون حرف المضارعة ياء لثقل ذلك، وكان مفتوح العين، وكان ماضيه ثلاثيا مكسورها، أو زاد على الثلاثة وابتدأ بهمزة الوصل وذلك مثل (نعلم، نطمع، نعمل، نهتدي، نستبق، تستخرجوا، تشهدون) ونحو ذلك[٥].

- {فآيَدْنَا الذين} ابن محصين. لغة في الأيد بمعنى القوة[٦].

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات

قوله تعالى في الآية {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ} أي يا أيها الذين آمنوا باللّه وصدقوا رسوله : ألا أدلكم على صفقة رابحة، وتجارة نافعة، تنالون بها الربح العظيم، والنجاح الخالد الباقي. وهذا أسلوب يفيد التشويق والاهتمام بما يأتي بعده.

١- "البدور الزاهرة" ص٣١٩ و"الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢) و"السبعة في القراءات" ص٦٣٥ و"حجة القراءات " لابن زنجلة ص ٧٠٨ و"التيسير في القراءات السبع" للداني ص٢١٠

٢- انظر " الميسر في القراءات الأربع عشر" ص٥٥٢

٣- انظر "حجة القراءات " لابن زنجلة ص ٧٠٩

٤- أنظر "البدور الزاهرة" ص٣١٩ و "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢) و"السبعة في القراءات" ص٦٣٥ و"التيسير في القراءات السبع" للداني ص٢١٠

٥- أنظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص١ و٥٥٢)

٦- أنظر "الميسر في القراءات الأربع عشرة" لمحمد فهد خاروف (ص ٥٥٢)

ثم بين هذه التجارة بقوله: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} أي اثبتوا على إيمانكم، وأخلصوا للّه العمل، وجاهدوا بالأنفس والأموال في سبيل اللّه بنشر دينه وإعلاء كلمته. وجاء في تفسير المراغي "والجهاد ضروب شتى: جهاد للعدو في ميدان القتال لنصرة الدين، وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التي ترديها ، وجهاد بين النفس والخلق بترك الطمع في أموالهم والشفقة عليهم والرحمة بهم، وجهاد فيما بين المرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها، وألا ينفق المال إلا فيما تجيزه الشرائع، وتقره العقول السليمة"[1].

ثم قال عز وجل {ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أي هذا الإيمان والجهاد خير لكم من كل شيء في الدنيا من نفس ومال وولد ، إن كنتم من أهل الإدراك والعلم بوجوه المنافع وفهم المقاصد، فإن الأمور إنما تتفاضل بغاياتها ونتائجها.

ولهذه التجارة فوائد عاجلة وأخرى آجلة، وقد فصل كلا الأمرين وقدم الثانية فقال : {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} أي إن فعلتم ذلك فآمنتم باللّه وصدقتم رسوله ، وجاهدتم فى سبيله – ستر لكم ذنوبكم ومحاها ، أدخلكم فراديس جناته وأسكنكم مساكن تطيب لدى النفوس ، وتقرّ بها العيون فى دار الخلد الأبدى ، وهذا منتهى ما تسمو إليه النفوس من الفوز الذي لا فوز بعده. ثم ذكر الفوز العاجل فى الدنيا فقال : (وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) أي ولكم على هذا فوز فى الدنيا بنصركم على عدوكم ، وفتحكم للبلاد ، وتمكينكم منها حتى تدين لكم مشارق الأرض ومغاربها. وقد أنجز اللّه وعده ، فرفعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من العالم فى زمن وجيز لم يعهد التاريخ نظيره ، وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة ، وساسوا العالم سياسة شهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق. ثم أمرهم بأن يكونوا أنصار اللّه فى كل حين ، فلا يتخاذلوا ولا يتواكلوا ، فيكتب لهم النصر على أعدائهم كما فعل حواريو عيسى فقال : {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ} أي

١- أنظر " تفسير المراغي ، ج ٢٨ ، ص : ٩١

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار اللّه ، فارفعوا شأن دينه ، وأعلوا كلمته ، كما فعل الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم : من أنصارى إلى اللّه ؟ قالوا له : نحن أنصار اللّه وأنصار دينه[1].

الفصل الثالث : دراسة موضوعية لسورة الصف

يتضمن

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية للسورة

المبحث الثاني: وقفات مع سورة الصف

المطلب الأول: التجارة مع الله

المطلب الثاني : توحيد الصفوف

١- أنظر " تفسير المراغي ، ج ٢٨ ، ص :٩٢

الفصل الثالث دراسة موضوعية لسورة الصف

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية للسورة.

يُعتبر علم موضوعات السور من العلوم الجليلة التي تعين قارئ القرآن على التدبر العميق، وتكشف له من الأسرار ما لا ينكشف له بدونها. وسورة الصف، موضوعها الأساسي هو حث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله على قلب واحد.

قال البقاعي : مقصود السورة هو الحث على الاجتهاد التام في الاجتماع على قلب واحد في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم، بحملهم على الدين الحق، أو محقهم عن جديد الأرض أقصى المحق، تنزيها للملك الأعلى عن الشرك، وصيانة لجنابه الأقدس عن الإفك، ودلالة على الصدق في البراءة منهم

والعداوة لهم، فهي نتيجة سورة التوبة، وأدل عما فيها على هذا المقصد الصف بتأمل آيته، وتدبر ما له من جليل النفع في أوله وأثنائه وغايته، وكذا الحواريون.

وكما هو معلوم فكل سورة من سور القرآن تتضمن من الموضوعات والمعاني ما لا يمكن حصره في أسطر، وكل قارئ للقرآن يكشف من الأسرار والمواضيع ما لا يمكن لآخر أن يدركها. نذكر فيما يلي تلك الموضوعات، حسب ما جاء في تفاسير العلماء، لا الحصر:

- اللوم والتعنيف على مخالفة القول للعمل،
- التحريض على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه،
- صدق الإيمان والثبات في نصرة الدين،
- البشارة بمحمد على لسان عيسى،
- التحذير من أذى الرسول صلى الله عليه وسلم تعريضا باليهود مثل كعب بن الأشرف،
- ضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى والتعريض بالمنافقين،
- محمد صلى اللّه عليه وسلم أرسل بالهدى والدين الحق،
- التجارة الرابحة عند اللّه هي الإيمان والجهاد في سبيله،
- الوعد على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح،
- الأمر بنصرة الدين والائتساء بالحواريين[1]

المبحث الثاني: وقفات مع سورة الصف،

المطلب الأول: التجارة مع الله

جاء في قوله تعالى { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ }

التجارة، جاءت في لسان العرب من تجر يتجر تجرا وتجارة أي باع وشري

١- انظر "التحرير والتنوير" (ج٢٨ ص١٩٤) و"تفسير المراغي" (ج ٢٨، ص: ٩٣)

وقد عرف العلامة ابن خلدون التجارة في مقدمته المشهورة بأنها : محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخيص وبيعها بالغلاء. وبذا يكون أبسط الأعمال التجارية هو بيع سلعة بثمن أكبر ويكون الفرق هو الربح.

أما التجارة مع الله فلها أكثر من مدلول حيث تشمل جميع ما يمكن أن يعمله العبد ليكسب رضا الحق سبحانه وتعالى؛ وهذه التجارة لها طرفان؛

الأول هو الله – سبحانه وتعالى – وهو الخالق والرازق وصاحب المال،

والطرف الآخر هو العبد الضعيف الذي يسعى لرفع درجته حين تجارته مع خالقه ورازقه وصاحب السلعة. فهو يبيع ما لا يملك لمن يملك ويحصل على الربح في الحال. فهو لا يمكن له إلا أن يكون رابحا. قال الله تعالى في سورة فاطر الآيتين ٢٩ و٣٠ {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}، فسبحانه وتعالى وفق عباده إلى التجارة معه، وتفضَّل عليهم بما يتاجرون به معه، ثم هو يعطيهم أجر تلك التجارة كأحسن ما يكون الأجر والجزاء، ثم هو يَزيدهم مِن فضله فوق أجورهم، ويضاعف لمن يشاء.

أما السلعة فهي أنواع تلك التجارة الرابحة؛ نذكر بعضا منها لا الحصر:

الإيمان بالله- تبارك وتعالى -؛ فهو أساس التجارة وعمودها الذي لا تصلح إلا به والإيمان بنبيِّه محمَّد – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول الله تعالى في الآياتِ مِن سورة الصف: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}. فجعل سبحانه وتعالى الإيمان أولى الأعمال بالوجوب، وجعله شرطًا في قَبول ما سواه مِن الأعمال، وشرطًا للمتاجرة معه، حيث جاء في سورة المائدة الآية ٥ قوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}،

ويلي الإيمان في المتاجَرة جميع عمل العبد مع إخلاص النية لله سبحانه وتعالى كما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [١].

١- روى هذا الحديث جمع من الأئمة أصحاب المصنفات، ومنهم البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، والترمذي في جامعه، وأبو داود في سننه، والنسائي في سننه الكبرى وفي سننه الصغرى، وابن ماجه في سننه، وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في سننه الكبرى وفي

هذا الحديث أصل عظيم في الدين، وموضوعه الإخلاص في العمل وبيان اشتراط النية وأثر ذلك، وبه صدر البخاري كتابه الصحيح وأقامه مقام الخطبة له إشارة إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا والآخرة. وهو أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها قال الشافعي هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين بابا من الفقه وقال أحمد أصل الإسلام على ثلاثة أحاديث حديث عمر الأعمال بالنيات وحديث عائشة من أحدث في أمرنا هذا وحديث النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين[1] .

قال الله تعالى { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ }

ويلي الإيمان بالله ورسوله، الدفاع عنه والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس. ومِن لوازم الاعتقاد بأي شيء الدفاع عنه، والدعوة إليه.

والجهاد ضروب شتى : جهاد للعدو في ميدان القتال لنصرة الدين، وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التي ترديها، وجهاد بين النفس والخلق بترك الطمع في أموالهم والشفقة عليهم والرحمة بهم، وجهاد فيما بين المرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها، وألا ينفق المال إلا فيما تجيزه الشرائع، وتقره العقول السليمة.[2]

غير أن هناك بعض الأعمال تكون أساسية ورئيسية بالنسبة لأعمال أخرى، حيث ينبني عليها الدين كله. وقد ذكر الله بعضا منها في الآية ٢٩ من سورة فاطر {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ}

وخلاصة القول أن كل عمل نهى عنه الله ورسوله، فتركه من المتاجرة معه، وكل ما هو وسيلة إلى الامتثال لأوامر الله ورسوله، فهو من المتاجرة معه.

سننه الصغرى وفي الزهد الكبير، والدارقطني في سننه، والإمام أحمد في مسنده، والحميدي في مسنده، وأبو داود الطيالسي في مسنده، والبزار في مسنده، وأبو عوانة في مسنده، والقضاعي في مسند الشهاب، والطبراني في معجمه الأوسط، والطحاوي في شرح معاني الآثار، والطبري في تهذيب الآثار، وهناد في الزهد، وابن المبارك في الزهد.

١- الموقع الإلكتروني "صيد الفوائد "

٢- أنظر " تفسير المراغي" ، ج ٢٨ ، ص : ٩١

المطلب الثاني : توحيد الصفوف

السورة التي بين أيدينا فيها آية مهمة وهي {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ } وهي تدعو بصحيح العبارة إلى توحيد الصفوف حين القتال في سبيل الله. وفي واقع الأمر هذا ما تحتاجه الأمة؛ فنحن في أمس الحاجة إلى التوحد والاجتماع والتآلف وتوحيد الصف وجمع الكلمة، حيث أعداء الدين يتوحدون بالرغم من اختلافهم فيما بينهم.

وتوحيد صف المسلمين فريضة من فرائض الإسلام وكلية من كلياته وتركه يُحاسب عليه في الدنيا ويُعاقب عليه في الآخرة؛ فقد قال الله تعالى في سورة النساء الآية ١١٥ { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} وفي قوله تعالى { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } دليل على أن للمسلمين سبيل واحد وهو الذي وصى به الله عباده في كتابه الكريم من خلال سورة الأنعام الآية ١٥٣{ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

وهناك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة جاءت بالأمر بتوحيد الصف ووجوب السعي إليه منها كذلك قول الله تعالى {واعتصموا بحبل الله جميعا} وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١]."

كما جاءت نصوص أخرى كثيرة تنهى عن الفرقة والتفرق في الدين منها: قوله تعالى { واعْتصِموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا } سورة آل عمران من الآية ١٠٣ وقوله تعالى: { أنْ أَقيمُوا الدينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيه } وقوله تعالى {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات} .والله جل جلاله في هذه النصوص نهى هذه الأمة وجميع الأمم السابقة عن التفرق والتشرذم في الدين، وعلى المؤمن أن يتجنب الخلاف وأسبابه كما يتجنب سائر المحرمات لأن النهي عن الشيء أمر بضده، فقوله {ولا تفرقوا} نص على النهي وهو في الوقت نفسه أمرٌ بتوحيد الصف لأن ترك التفرق هو توحيد للصف.

١- رواه كل من البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لكتابة هذا البحث المتواضع والمتعلق بدراسة تحليلية موضوعية لسورة الصف. حيث خلصت الدراسة فيه إلى ما يلي:

١. على الرغم من أن السورة قد تمت دراستها وتفسيرها منذ زمن يمكن القول أن الإنسان المسلم لا يزال في حاجة إلى تفسير آيات القرآن الكريم وتدارسها وتدبرها، وهذا يجعله يكتشف أسرارا جديدة ومعاني رائعة لم تخطر على بال أحد من قبل وهذا يزيده حبا لتلاوة القرآن وتدبره،

٢. هذه السورة الكريمة على الرغم من قصرها تشمل موضوعات كثيرة في الإيمان والأخلاق والأصول،

٣. عداوة اليهود للمسلمين عداوة تاريخية مستمرة،

٤. إن أفضل شيء في التفسير أن يُربط بالواقع. فترى القرآن كأنه نزل الآن يخاطب الناس في زمانهم هذا،

وختاما فإن الحمد لله نحمده ونشكره على الهداية والتوفيق والتيسير، وسبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

الفهارس

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق : سعيد المندوب، نشر: دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى

٣. أحكام القرآن : أبو بكر بن العربي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية؛ سنة النشر: ١٤٢٤ ه — ٢٠٠٣م
٤. أسباب النزول: أبو الحسن علي الواحدي، نشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٥. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي. (ت١٥٠ه)، تحقيق: د. عبد الله محمود شحاته. الطبعة الثانية، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٤ه - ١٩٩٤م
٦. إعراب القرآن الكريم وبيانه: محي الدين الدرويش، نشر: اليمامة، دار ابن كثير، دار الإرشاد، سنة النشر: ١٤١٢ه — ١٩٩٢م، عدد المجلدات: ١٠، رقم الطبعة: ٣
٧. البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي الغرناطي، (ت٧٥٤ه)، المحقق: عادل أحمد - علي معوض، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ه — ١٩٩٣م، ٨ أجزاء
٨. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرَى - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، نشر: دار الكتاب العربي بيروت
٩. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي، نشر: مكتبة دنديس - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه — ٢٠٠١م
١٠. التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، عدد الأجزاء : ٣٠
١١. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٣٧٦ه - ١٩٥٧م، عدد المجلدات: ١٧
١٢. تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د.مصطفى مسلم محمد، نشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٠ه
١٣. تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ه) المحقق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٨
١٤. تفسير المراغي: لأحمد مصطفى المراغي، دار النشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عدد الأجزاء : ٣٠

١٥. التيسر في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة :الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
١٦. الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق)، لعبد الرحمن القماش (٨٤٠ مجلداً)
١٧. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، نشر دار الشروق – بيروت، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م، الطبعة الثالثة.
١٨. حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة : الخامسة سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر: دار ابن حزم، دار الإعلام. الطبعة الأولى ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.
٢٠. الجامع الصحيح : الإمام البخاري؛ محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦ه)، نشر: دار الجيل، بيروت.
٢١. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق : هشام سمير البخاري، نشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء ٢٠
٢٢. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة: محمود صافي، نشر: دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، سنة النشر: ١٤١٦ه – ١٩٩٥م، عدد المجلدات: ١٦
٢٣. السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، نشر دار المعارف بمصر، ط١
٢٤. جمهرة اللغة : ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت٣٢١ه)، نشر: دار صادر، الطبعة الأولى في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥ه.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، نشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٦. سنن الترمذي (مع أحكام الألباني، ت: مشهور)، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١
٢٧. الشامل في القراءات المتواترة : الدكتور محمد حبش، نشر : دار الكلم الطيب. دمشق ٢٠٠١م – ١٤٢٢ه
٢٨. في ظلال القرآن : سيد قطب، نشر دار الشروق، الطبعة ٣٤ (١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م)
٢٩. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، الطبعة الثالثة مايو١٩٨٠م، نشر: دار العلم للملايين، بيروت.
٣٠. القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، الدكتور عبد العلي المسئول (ص/٨٢-٨٩)، دار ابن القيم بالرياض، ودار ابن عفان بالقاهرة. ط١: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨ه)، نشر: دار المعرفة، بيروت
٣٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤ه-١٦٨٣م)، القسم الثالث، نشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٣ه-١٩٩٢م
٣٣. لسان العرب : ابن منظور ، نشر: دار المعارف.
٣٤. مباحث في علوم القرآن: للدكتور مناع القطان، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٣٥. المحرر الوجيز في تحرير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦ه)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
٣٦. المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥ه)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى
٣٧. مشكل إعراب القرآن : مكي بن أبي طالب القيسي، حققه ياسين محمد السواس، نشر دار المأمون للتراث طبعة ثانية منقحة. مشكل إعراب القرآن الكريم
٣٨. مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، ٣٢ جزء وفهرس

٣٩. معاني القرآن: الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ ، نشر :دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٠. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم السَّرِي بن سَهل الزجاج، نشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م
٤١. معجم مفردات ألفاظ القرآن : العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني. (ت٥٠٣ه)، ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين، ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ه- ١٩٩٧م
٤٢. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس، نشر: دار الجيل. بيروت. الطبعة الأولى
٤٣. الميسر في القراءات الأربع عشرة محمد فهد خاروف، نشر دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.
٤٤. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : د. قطب الريسوني، نشر :منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية. الطبعة الأولى (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م .
٤٥. نظرية الوحدة الموضوعية من خلال كتاب الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى للدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر وكلية التربية للبنات بالقصيم
٤٦. نظم الدرر في تناسب الآي والسور : الإمام برهان الدين البقاعي، (ت٨٨٥ه)، نشر: درا الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ه — ١٩٩٥م
٤٧. زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نشر : المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ه، عدد الأجزاء : ٩
٤٨. الصحيح المسند من أسباب النزول: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادى الوادعى ، نشر:مكتبة ابن تيمية الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م
٤٩. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة ، نشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٧ — ٢٠٠٦، عدد المجلدات: ٢، رقم الطبعة: ١

فهرس الموضوعات

شكر وإهداء.....٣
المقدمة.....٤
مشكلة البحث.....٧
أهداف البحث.....٧
الدراسات السابقة.....٨

منهج البحث.....٨
هيكل البحث.....٩
الفصل الأول : مدخل إلى
السورة.....١١
المبحث الأول: تعريف
بالسورة.....١١
المبحث الثاني : تسمية
السورة.....١٢
المبحث الثالث : مناسبة السورة.....١٢
المبحث الرابع : محاور
السورة.....١٣
الفصل الثاني: دراسة تحليلية لسورة
الصف.....١٥
المبحث الأول: دراسة الآيات من ١ إلى ٤.....١٥
المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول.....١٥
المطلب الثاني: معاني المفردات.....١٦
المطلب الثالث :
الإعراب.....١٦
المطلب الرابع البلاغة.....١٧
المطلب الخامس : القراءات الواردة في
الآيات.....١٨
المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات.....١٩
المبحث الثاني: دراسة الآيات من ٥ إلى ٧.....٢٠
المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول.....٢٠

المطلب الثاني: معاني المفردات.....٢١
المطلب الثالث :
الإعراب.....٢٣
المطلب الرابع البلاغة.....٢٤
المطلب الخامس : القراءات الواردة في
الآيات.....٢٥
المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات.....٢٧
المبحث الثالث: دراسة الآيات من ٨ إلى ٩.....٢٨
المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول.....٢٨
المطلب الثاني: معاني المفردات.....٢٨
المطلب الثالث :
الإعراب.....٢٩
المطلب الرابع البلاغة.....٢٩
المطلب الخامس : القراءات الواردة في
الآيات.....٣٠
المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات.....٣٢
المبحث الرابع: دراسة الآيات من ١٠ إلى ١٤.....٣٢
المطلب الأول : المناسبة وأسباب النزول.....٣٣
المطلب الثاني: معاني المفردات.....٣٣
المطلب الثالث :
الإعراب.....٣٣
المطلب الرابع البلاغة.....٣٤
المطلب الخامس : القراءات الواردة في
الآيات.....٣٥

المطلب السادس: المعنى الإجمالي للآيات.....٣٦
الفصل الثالث: دراسة موضوعية لسورة
الصف.....٣٩
المبحث الأول: الوحدة الموضوعية
للسورة.....٣٩
المبحث الثاني : وقفات مع سورة الصف.....٤٠
المطلب الأول : توحيد الصفوف.....٤٠
المطلب الثاني: التجارة مع الله.....٤٢
الخاتمة.....٤٤
الفهارس.....٤٥
فهرس
المراجع.....٤٦
فهرس الموضوعات.....٥١